المحاضرة التاسعة: الفلسفة والتربية

1/معنى التربية لغة واصطلاحا:

لغة جاء في لسان العرب لابن منظور: "ربا" يربو بمعنى زاد ونما، وفي القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ (سورة الحج، الآية (5) ، أي نمت وازدادت، ويقال رباه بمعنى أنشأه، ونمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية.

فالتربية بمعناها الواسع تعني كل عملية تساعد على تشكيل عقل الفرد وجسمه وخلقه باستثناء ما قد يتدخل فيه من عمليات تكوينية أو وراثية، وبمعناها الضيق تعني غرس المعلومات والمهارات المعرفية من خلال مؤسسات أنشئت لهذا الغرض كالمدارس، كذلك فإن تعريف التربية يختلف باختلاف وجهات النظر ويتعدد حسب الجوانب والمجالات المؤثرة فيها والمتأثرة بها.

التربية في الاصطلاح الفلسفي

عرف **أفلاطون** التربية بأنها تدريب الفطرة الأولى للطفل على الفضيلة من خلال اكتسابه العادات المناسبة، يرى **أفلاطون** أن التربية ليست مجرد نقل للمعرفة أو المهارات، بل هي عملية شاملة تهدف إلى تنمية النفس البشرية وإعدادها للقيام بدورها في المجتمع، أما **توما الاكويني**، فيقول: "إن الهدف من التربية هو تحقيق السعادة من خلال غرس الفضائل العقلية والخلقية".

ويرى **هيجل**: "أن الهدف من التربية هو تحقيق العمل وتشجيع روح الجماعة"، ويرى **جون ديوي** أنَّ عملية التربية ليست عملية إعداد للمُستقبل؛ بل إنها عملية حياة."، بينما يرى **ابن خلدون** ان التربية عملية تنشئة اجتماعية للفرد لتعويده بعض العادات والقيم السائدة في المجتمع وإكسابه المعلومات والمعارف الموجودة في المجتمع.

ينطلق **روسو** من فرضية أن الإنسان خير بطبعه، وأن الفساد يأتي من المجتمع. ولهذا، فإن مفهوم التربية عنده يقوم على مبدأ "التربية السلبية"، والتي تعني عدم التدخل في نمو الطفل إلا لحمايته من المؤثرات السلبية للمجتمع،"وظيفة التربية لدى روسو أن تزيل كل شيء يقف في سبيل النهوض بالطبيعة الإنسانية ورقيها، بمعنى أن التربية يجب أن تكون وسيلة سلبية تمنع الأشياء التي تعيق النمو الطبيعي للطفل."

فالتربية عموما تعتبر عملية شاملة، تتناول الإنسان من جميع جوانبه النفسية والعقلية والعاطفية والشخصية والسلوكية وطريقة تفكيره وأسلوبه في الحياة، وتعامله مع الآخرين، كذلك تناوله في البيت والمدرسة وفي كل مكان يكون فيه، وللتربية مفاهيم فردية، واجتماعية، ومثالية.

2/خصائص التربية:

-إن التربية عملية تكاملية.

-عملية فردية اجتماعية.

-تختلف باختلاف الزمان والمكان.

-عملية إنسانية.

3/التربية بين العلم والفلسفة

تُعدّ التربية ظاهرة إنسانية معقدة ومتعددة الأوجه، تتجاوز مجرد نقل المعرفة والمهارات، وقد أثير جدل طويل حول طبيعتها المعرفية، هل هي علم يرتكز على المنهج التجريبي والبيانات الكمية، أم هي فلسفة تستند إلى التأمل النقدي وتحديد الغايات والقيم؟ في الواقع، لا يمكن فصل التربية عن هذين البعدين، فهي تقف على مفترق طرق يجمع بين الرؤية النظرية الفلسفية والتطبيق العملي العلمي، إن العلاقة بين التربية كعلم والتربية كفلسفة هي علاقة تلازم وتكامل، حيث يمد كل منهما الآخر بما يحتاجه للنمو والتطور.

تتجلى العلاقة التلازمية بين البعدين في النقاط التالية:

•**الفلسفة توجه العلم:** تمد فلسفة التربية علوم التربية بـ الرؤية والأهداف، فالعلم لا يستطيع أن يحدد لنفسه غاياته النهائية، بل يحتاج إلى الفلسفة لتوجيهه نحو ما هو خير وصالح للمجتمع والفرد.

•**العلم يخدم الفلسفة:** تمد علوم التربية فلسفة التربية بـ البيانات والنتائج الواقعية، فالعلم يختبر مدى إمكانية تحقيق الأهداف الفلسفية على أرض الواقع، ويقدم الوسائل الأكثر فعالية لتحقيقها.

•**فلسفة التربية كجسر:** تُعد فلسفة التربية هي الجسر الذي يربط بين الجانب النظري (الفلسفة) والجانب التطبيقي (العلم)، حيث تقوم بترجمة الأفكار الفلسفية إلى افتراضات ومقترحات يمكن لعلوم التربية أن تختبرها وتطبقها.

4/اتجاهات المفسرة لعملية التربية

الاتجاه المثالي:

تُعد الفلسفة المثالية من أقدم التيارات الفكرية في التربية، حيث تركز على أولوية العقل والروح والقيم المطلقة في تشكيل الإنسان. تهدف التربية المثالية إلى تطوير الجوانب الفكرية، الأخلاقية، والروحية للمتعلم، وتعتبر أن تحقيق الذات واكتساب الفضيلة هما الغاية النهائية للتعليم.

ترى المثالية أن الواقع الحقيقي هو عالم الأفكار، وأن التربية يجب أن تركز على تنمية الفكر، الأخلاق، والروح، وليس فقط الجوانب المادية أو المهارات العملية، حيث تهدف التربية المثالية إلى بناء شخصية متكاملة من خلال غرس القيم الأخلاقية، الفضائل، والولاء للمجتمع، ويُعتبر المعلم في الاتجاه المثالي قدوة أخلاقية وفكرية، ودوره يتجاوز نقل المعرفة ليشمل الإلهام والتوجيه نحو القيم العليا.

الاتجاه الواقعي:

يركز الاتجاه الواقعي في التربية على ربط التعليم بالواقع الموضوعي، حيث يُنظر إلى العالم الخارجي باعتباره موجودًا مستقلًا عن أفكار الإنسان، ويمكن معرفته من خلال الملاحظة والتجربة. يهدف هذا الاتجاه إلى إعداد المتعلم لفهم العالم كما هو، وتنمية قدراته على التكيف مع المجتمع وحل المشكلات الحياتية.

يؤمن الواقعيون بأن العالم الخارجي حقيقي ومستقل، وأن المعرفة تُكتسب عبر الحواس والتجربة المباشرة، وليس فقط من خلال التأمل العقلي، حيث يركز الاتجاه الواقعي على تدريس العلوم، الرياضيات، الدراسات الاجتماعية، والمهارات العملية، مع التأكيد على شمولية المناهج لتشمل الجوانب النظرية والتطبيقية، ويُنظر إلى المعلم كمرشد وميسر للتعلم، يوجه الطلاب نحو فهم الواقع من خلال التجربة والملاحظة، ويشجع التفكير النقدي.

الاتجاه الطبيعي:

يركز الاتجاه الطبيعي في التربية (أو التربية الطبيعية/النزعة الطبيعية في التعليم) على احترام طبيعة الطفل وميوله الفطرية، وتوفير بيئة تعليمية منسجمة مع قوانين الطبيعة وتطور الطفل الجسدي والنفسي، يهدف هذا الاتجاه إلى تنمية شخصية متكاملة من خلال التعلم الحر، التجربة المباشرة، والتفاعل مع البيئة الطبيعية.

يؤكد الاتجاه الطبيعي على ضرورة تكييف التعليم مع مراحل النمو الطبيعي للطفل، واحترام ميوله واهتماماته، وعدم فرض مناهج أو أساليب قسرية تعيق تطوره الحر، ويشجع هذا الاتجاه على التعلم النشط عبر التفاعل المباشر مع الطبيعة، واكتساب المعرفة من خلال الملاحظة والتجربة بدلاً من الحفظ والتلقين، حيث يُنظر إلى المعلم كمرشد يهيئ بيئة غنية بالخبرات الطبيعية، ويترك للطفل حرية الاستكشاف والتعلم الذاتي.

الاتجاه البراغماتي:

يركز الاتجاه البراغماتي في التربية على ربط التعليم بالحياة العملية، حيث تُعتبر الخبرة والتجربة أساسًا لاكتساب المعرفة، يهدف هذا الاتجاه إلى إعداد المتعلم ليكون قادرًا على التكيف مع التغيرات، وحل المشكلات، والمشاركة الفعالة في المجتمع من خلال التعلم النشط والمرن.

يؤكد البراغماتيون، أن المعرفة تُكتسب عبر التجربة العملية، وليس فقط من خلال التلقين أو الحفظ، يُنظر إلى التعليم كعملية مستمرة لإعادة تنظيم الخبرات بهدف مواجهة تحديات الحياة الواقعية، مع تشجيع التفكير النقدي والإبداعي، يدعو الاتجاه البراغماتي إلى تطوير مناهج مرنة تتكيف مع احتياجات الطلاب والمجتمع، مع التركيز على المهارات العملية والتطبيقية.

الاتجاه الوجودي:

يركز الاتجاه الوجودي في التربية على الإنسان ككائن حر ومسؤول عن تشكيل ذاته واختيار مصيره، ويعتبر أن التعليم يجب أن يساعد الفرد على اكتشاف ذاته، تحقيق أصالته، وتحمّل مسؤولية قراراته في عالم مليء بالتحديات والقلق والبحث عن المعنى.

يُنظر هذا الاتجاه إلى المتعلم كفرد حر في اختياراته، مسؤول عن قراراته، ويجب أن يواجه نتائجها، التربية الوجودية تركز على تنمية الاستقلالية والقدرة على اتخاذ القرار، حيث تهدف التربية الوجودية إلى مساعدة المتعلم في البحث عن معنى لحياته، وتطوير وعيه الذاتي وقيمه الشخصية، بعيدًا عن القوالب الجاهزة أو التلقين، وتشجع على خوض التجارب الشخصية، وتقدير المشاعر الفردية، وتطوير الأصالة في التفكير والسلوك.